مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

قُرآنُنا

عبدُ الحليم الغِزّي

منشورات موقع زهرائيون

قُـرآنُنـــا

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في تسعة وعشرين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 13 / 03 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلي على مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّد وعَجل فَرَجَهُم والعن أعدائهم

اللَّهُمَّ صَلي على فَاطِمَة وأبيها وبَعلِها وبَنيها والسرِّ المُستَودعِ فيها

الحلقة الثامنة عشر

تفسير سورة البقرة من الآية ١٣٩ الى الآية ١٤٤

السلام عليكم جميعاً أحباب عليٍّ وآل علي ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أوقاتكم وبلغكم شهر الصيام في صحةٍ وعافية وسلامةٍ وسعادة.

هذه الحلقة الثامنة بعد العاشرة من برنامج قرآننا وهي آخر حلقةٍ قبل هلال شهر رمضان المبارك وكما وعدتكم فيما مرَّ من برامج أخرى من أن برنامج قرآننا سيكون في نفس الوقت في أيام شهر رمضان في نفس وقت البث المباشر يعني مثل هذا الوقت بين يومٍ ويوم نشرع ببرنامج قرآننا منذُ اليوم الأول من أيام الشهر الشريف وفي اليوم الثاني يكون برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة وهكذا بين يومٍ ويوم أتمنى أن أوفق لخدمتكم في أيام شهر رمضان وأحاول أن أتِمَ الكلام في تفسير سورة البقرة.

هناك مسألة أحببتُ الإشارة إليها إن من أراد الطيران ومن أراد الدخول إلى عالم القرآن يحتاج إلى جناحين: الجناح الأول سورة البقرة والجناح الثاني سورة آل عمران من استطاع أن يُلِمَّ بمعاني هاتين السورتين فإنهُ يستطيع أن يطير في أجواء القرآن الكريم، سورة البقرة وسورة آل عمران هما الجناحان اللذان يستطيع طالب العلم في القرآن طالب التفسير في القرآن أن يستعين بهما على فهم بقية القرآن ففي هاتين السورتين يمكن أن نجد القواعد العامة لفهم القرآن بالنحو المُجمل لذلك سأحاول إن شاء الله تعالى أن أتم الكلام في أيام شهر رمضان في تفسير سورة البقرة المباركة وبعد ذلك نشرع في سورة آل عمران بحول الله تعالى وقوته تواصلاً مع ما مرَّ من الحلقات الماضية فقد وصل بنا الكلام في آخر حلقةٍ من حلقات هذا البرنامج إلى الآية الثامنة والثلاثين بعد المئة من سورة البقرة ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ هذه الآية مرَّ الكلام فيها وقلنا بان الذي جاءنا عن المعصومين المراد من صبغة الله هي ولاية النبي وآل النبي والروايات صرحت بشكلٍ قاطع بأن صبغة الله هي ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه.

الآية التي بعدها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ لا زلنا في أجواء الحديث عن اليهود والنصارى ولا زال الكلام يدور في هذه

الأجواء ومرَّ علينا في الحلقة الماضية في الآية الخامسة والثلاثين بعد المئة ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ والكلام يدور في هذه الأجواء ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ لأن اليهود في دينهم يعتقدون أن ربهم هو الله سبحانه وتعالى والنصارى كذلك الآية تخاطبهم تقول إنكم تحاجوننا وتدخلون في هذه المحاججات والمجادلات في الله وهو ربنا وربكم نحن نؤمن به وأنتم تؤمنون به إذاً ما هو وجه الحكمة من هذه المحاججة!! فنحن نؤمن بوجوده وأنتم تؤمنون بوجوده ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ المحاججة في أي جهة؟ إن كان في أصل العقيدة في التوحيد فأنتم تؤمنون بالله ونحن نؤمن بالله وإن كانت المحاججة في شيءٍ آخر تتعلق بنا بشكلٍ شخصي فنحن لنا أعمالنا وطقوسنا وعباداتنا وأنتم كذلك فمثل ما لكم أعمال لنا أعمال ما هو وجه محاججتكم ما هو الفارقُ بيننا وبينكم في هذه القضية حتى تعتقدون بانكم أنتم الأفضل منا الكلام هنا بنحوٍ عام في الخطوط العامة ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ ونحن قد أخلصنا له العقيدة والدين والعبادة إذا كنتم أنتم تدّعون بأنكم مخلصون في دينكم وعبادتكم فنحن كذلك مخلصون إذاً ما هو وجه المناقشة؟ ما هو وجه المحاججة الآية هنا تريد أن تنبه اليهود والنصارى إلى أنكم تدخلون في محاججاتٍ عقيمة المحاججات العقيمة محاججات لا توصل إلى أيَّةِ منفعة هذا أولاً، وثانياً تجعل الإنسان في دوامةٍ هذه الدوامة تبعدهُ عن الشيء الذي ينفعه.

والآن في أجواءنا في أجواء الفضائيات مثلاً وفي أجواء الانترنيت هناك الكثير من المحاججات التي تقع بين محبي أهل البيت وبين المخالفين وهذه المحاججات إن لم تكن كل هذه المحاججات لكن يقيناً الأعم الأغلب من هذه المحاججات محاججات عقيمة لا نفع فيها لا للذين يدخلون بشكل مباشر في هذه المحاججات ولا إلى الذين يتابعونها ويستمعون إليها مجرد كلام وأصوات وحديث من دون أي فائدة لا للأطراف المتجادلة والمتحاججة ولا للناس الذين يسمعون فليس هناك من منفعةٍ وفي نفس الوقت هي مشغلة تشغل الناس عن معرفة الله وعن معرفة رسوله وعن معرفة أهل البيت ويشتغل هؤلاء المحاججون للمخالفين وهم يتصورون أنهم على أفضل حال أو هم في حال أفضل عمل يشتغلون بأحاديث المخالفين وفي نفس القوت يعرضون بقصد ومن دون قصد بحسن نية ومن دون حسن نية بإهمالٍ أو من دون إهمال يُعرضون عن حديث أهل البيت ويُعرضون عن فهم القرآن وفق منظور أهل البيت ما نفع المحاججات مع المخالفين؟ وصرف الوقت الطويل في المحاججة معهم والنتيجة لا شيء النتيجة نقاشٌ عقيم حِجاجٌ عقيم

القرآن هنا يشير إلى أن هذه المحاججات العقيمة لا فائدة فيها على الإنسان أن يبحث عن الشيء الذي ينتفع منه.

الذي ينتفع منه محبوا أهل البيت هو حديث أهل البيت هو معرفة أهل البيت الإنسان يموت وهو لم يكن قد اطلع على معارف أهل البيت ماذا ينتفع من أحاديث البخاري أو غير البخاري التي يحفظها لأجل المناقشة والمحاججة هذه قضايا ثانوية المحاججات والمجادلات مسائل ثانوية جانبية ليست ذات أهمية خصوصاً ونحن نعلم علم اليقين أن الطرف الثاني لن يهتدي إلى الحق لأن المناقشات تقع أنا أدخل في المناقشة وأنا مطمئن أني على الحق وأن الذي أجادلهُ على الباطل ولا يوجد أدنى احتمال أنني سأبدل الذي أنا عليه والطرف المقابل أيضاً يعتقد هو على الحق وأنا على الباطل ولا يوجد أدنى احتمال أن يُبدِّل الحال الذي هو عليه ما نفعُ هذه النقاشات؟! وما نفع هذه المحاججات التي ينشغل بها الناس في القنوات الفضائية أو ينشغل بها الناس على المنابر في كثيرٍ من الأوقات أو الكثير من الناس يصرفون الكثير من الوقت على الشبكة العنكبوتية فقط لمجرد الدخول في مثل هذه النقاشات أو لمجرد الاستماع والإطلاع ويهدرون الوقت الكثير لو صرفوا هذا الوقت لمعرفة أهل البيت وللاطلاع على معارف أهل البيت وللتزود من عقيدة أهل البيت لكان هذا لهم فيه المنفعة في حياتهم الدنيوية وتكون لهم فيه المنفعة عند الموت وفي قبورهم وفي الآخرة، الإنسان ماذا يصنع بأحاديث المخالفين ماذا يصنع بها إذا ما مُدد باتجاه القبلة الذي يبقى يبقى هو الحق والحق أين؟

الحق يدورُ مع عليٍّ حيثما دار كيف ندور مع عليٍّ حيثما دار؟ ندور مع عليٍّ حيثما دار ندور مع حديث عليٍّ ندور مع حديث عليٍّ وآل علي، نبقى عند هذه النقطة عند هذا المركز ألم يقل عليٌّ أنا النقطة نبقى ندور حول هذه النقطة هذه النقطة وهي المركز ندور حولها نطوف حولها بالعقول وبالقلوب وبالوجدان وبالمشاعر وبالأحاسيس وبالعواطف وبالفطرة وبكل ما هو إنسانيٌ في الطبيعة الإنسانية ندور ونطوف حول هذه النقطة وذلك لا يتجلى لنا إلا بالبحث وبالتدبر وبالتفكر وبالدراسة وبالاستماع وبالإنصاتِ إلى حديث عليٍّ وآل علي، القرآن هنا يشير إلى هذا النوع من المحاججات العقيمة ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ ما هي ثمرة هذا النقاش؟ ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ نحن ندعي الإخلاص أنتم تدعون الإخلاص، نحن ندعي أن لنا أعمالنا أنتم تدعون بان لكم أعمالكم، نحن ندعي بأن الله ربنا وأنتم تدعون كذلك الكلام نفس الشيء بين المحبين والمخالفين بين أولياء عليٍّ وبين أعدائهِ أولئك يدعون بأنهم على الحق وهؤلاء أيضاً يدعون بأنهم على الحق في الجملة وفي التفاصيل وبالنتيجة لا يصل الكلام إلى زبدةٍ واضحة يبقى كل واحدٍ من الطرفين يدور في دائرتهِ ويدور دور رحاه فهذه

المحاججات محاججات عقيمة فليبحث الإنسان عن الشيء الذي ينتفع منه ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ هذه الأشياء أنتم تدعونها ونحن أيضاً ندعيها فلن نصل إلى نتيجةٍ إذاً في النقاش ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ﴾ الأسباط هم أولاد يعقوب وما توالد منهم ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ﴾ كل طرف يدعي ما يدعي ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ﴾ من هو الأعلم إذا كنتم تؤمنون بأن الله ربكم من هو الأعلم بحال إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ﴾ الله هو الأعلم وماذا كان في كتبكم هل كان في كتبكم يا معشر اليهود بأن إبراهيم كان يهودياً هل كان في كتبكم يا معشر النصارى بأن إبراهيم كان نصرانياً ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ﴾ هذه الشهادة أين موجودة؟

موجودة في كتبهم في كتب اليهود في كتب النصارى التي تشهد بأن إبراهيم كان قبل الديانة اليهودية بأن إبراهيم كان قبل الديانة النصرانية إبراهيم إسماعيل إسحاق يعقوب الأسباط هؤلاء كانوا كلهم قبل منشأ الديانة اليهودية قبل نزول الديانة اليهودية وقبل نزول الديانة النصرانية وهذا كله مُبينٌ في كتبهم لذلك الآيات في سورة آل عمران تبين هذا المعنى الآية الخامسة والستون وما بعدها ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ﴾ وهذا المعنى كما هو مُبينٌ في القرآن الكتاب المهيمن على الكتاب المهيمن على كل الكتب كذلك هذا المعنى مُبيَنٌ في التوراة والإنجيل ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ هذه طريقة كانوا يقضون فيها الوقت طريقة المحاججة وهذا من سوء توفيق الإنسان أن يقضي وقتهُ وأن يصرف وقتهُ في أشياء لا تعود عليه بالمنفعة، المحاججة في أشياء لا تعود على الإنسان بالمنفعة ويترك في نفس الوقت الأشياء التي تنفعهُ وفيها غاية المنفعة له هذا سوءٌ سوء طالع وسوء توفيق وسوء حظ.

﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ لنفترض أنكم حاججتم في أمرٍ لكم به علم ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ

فِيمَا لَيسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ﴾ باعتبار أن إبراهيم عاش ومات قبلكم قبل منشأ الديانة اليهودية والنصرانية فإذا أردتم أن تعلموا بذلك عليكم أن تأخذوا علمكم من الله في هذه القضية ﴿هَا أَنتُم هَؤُلاء حَاجَجتُم فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ وَاللّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لاَ تَعلَمُونَ * مَا كَانَ إِبرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشرِكِينَ * إِنَّ أَولَى النَّاسِ بِإِبرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ إشارة إلى النبي مُحَمَّد ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللّهُ وَلِيُّ المُؤمِنِينَ﴾ ولقد مرَّ علينا في سورة البقرة في الآيات السابقة ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ تلاحظون التعانق بين معاني آيات الكتاب الكريم ونفس الشيء لو أردنا أن نرجع إلى حديث النبي والأئمة لوجدنا هذا التعانق في المعاني واضحاً وجلياً وصريحاً ﴿أَم كُنتُم شُهَدَاء إِذ حَضَرَ يَعقُوبَ المَوتُ إِذ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعبُدُونَ مِن بَعدِي قَالُوا نَعبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾ الآيات متعانقة ومستوسقة في دلالالتها من أول الكتاب إلى آخر الكتاب الكريم.

﴿أَم تَقُولُونَ إِنَّ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَقَ وَيَعقُوبَ وَالأَسبَاطَ كَانُوا هُودًا أَو نَصَارَى قُل أَأَنتُم أَعلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَن أَظلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ﴾ هذه الشهادة من الله أين هي موجودة؟ كما قلت قبل قليل موجودةٌ في كتبهم وهم كتموها ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ﴾ إن ما تعملونهُ فإنكم تعملونهُ والله رقيبٌ عليكم إذا كان هناك من الناس من يغفل عنكم فإن الله ليس بغافلٍ عما تعملون ثم يعود القرآن يخاطبهم ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَت﴾ أنتم تريدون البحث والنقاش في قضية ديانة إبراهيم ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَت لَهَا مَا كَسَبَت وَلَكُم مَّا كَسَبتُم وَلاَ تُسأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ أنتم الآن في مواجهة دينٍ جديد في مواجهة دين مُحَمَّد صلى الله عليه وآله لماذا تعودون إلى الوراء ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَت﴾ إبراهيم إسماعيل إسحاق يعقوب الأسباط ما كانوا لا يهوداً ولا نصارى وأنتم تعلمون ذلك وحتى لو تنزلنا وقلنا بأنهم كانوا يهوداً أو نصارى ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَت لَهَا مَا كَسَبَت وَلَكُم مَّا كَسَبتُم﴾ والقاعدة والقانون ﴿كُلُّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَت رَهِينَةٌ﴾ أنتم رهائن لِما تكسبون ولستم رهائن لِما كسب الذين سبقوكم من أسلافكم أنتم الآن في مواجهة دينٍ جديد في مواجهة الدين

الخاتم في مواجهة النبي الخاتم فابحثوا عن الذي يرشدكم إلى الحق يوصلكم إلى الهدى، لماذا تعودون إلى الوراء فتبحثون في مسائل لا تَمُتُ بصلةٍ إلى مسألة أصل هدايتكم ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَت لَهَا مَا كَسَبَت وَلَكُم مَّا كَسَبتُم وَلَا تُسأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ إنما تُسألون عمَّا أنتم عاملون ثم تنتقل السورة المباركة إلى جوٍ آخر وهو في نفس السياق في نفس المشكلة مع أهل الكتاب وبنحوٍ أخص مع اليهود ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا﴾ وقد أشرتُ مراراً في الحلقات الماضية بأن هذا الربط المتواصل في آيات الكتاب الكريم وهذا النقاش مع اليهود إنما هو لحكمةٍ بينتها أن اليهود الأُمَّة التي من دون الأُمَّم التي فُضِّلت على العالمين لأي شيءٍ؟ لأنها كُلِّفت بأعظم تكليف بنبوة محمَّدٍ وبولاية عليٍّ وآل علي ولكنهم كتموا الحقائق والآية هنا تشير إلى هذا الأمر ﴿وَمَن أَظلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ﴾ لأن قضية الإمامة مرتبطة بإبراهيم وإبراهيم والأنبياء الذين جاؤوا من بعدهِ حملوا هذه العقيدة إلى أن وصلت بشكلٍ جلي وواضح ومُفَصَّل على يد موسى عليه السلام فبينها لأُمَّته ولذلك الكلام في هذه الأجواء مرتبطٌ بهذه القضية وإن كانوا ربما الكثير من الناس يغفلون عن هذه الحقيقة لكن الروايات المنقولة عن المعصومين تؤكد هذه الحقيقة والتبصر بدقة في آيات الكتاب يوصلنا إلى هذه النتيجة الجلية الواضحة.

تستمر سورة البقرة ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ السفهاء مرت الإشارة إليهم في الآيات الأولى من سورة البقرة حين الكلام عن الأقوام الذين عاشوا مع رسول الله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾ يسمون من آمن مع رسول الله بالسفهاء ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا﴾ هذا الكلام لمن يُوَجّه؟ لقريش لليهود للنصارى لكل الناس ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلَا إِنَّهُم هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لَّا يَعلَمُونَ﴾.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ﴾ السفهاء جمع سفيه والسفيه الذي لا عقل له أو قد يكون له عقل بحسب ما يراه الناس ولكنهُ لا يعود إلى حكمةٍ وإلى سلامةٍ في التفكير ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ الآية هنا تتحدث عن موضوع

تغيير قبلة النبي والمسلمين بشكل مختصر النبي صلى الله عليه وآله حين كان في مكة كان يصلي باتجاه بيت المقدس لكنه أيضاً يجعل الكعبة في نفس الاتجاه إذا كان متمكناً من ذلك يعني كان التوجه إلى بيت المقدس وبيت المقدس في فلسطين وبيت المقدس هو قبلة اليهود فكان النبي صلى الله عليه وآله يتوجه إلى بيت المقدس ما دام هو في مكة وإذا كان متمكناً من أن يجعل الكعبة وبيت المقدس باتجاهٍ واحد فيتجه بهذا الاتجاه ولكن إذا لم يكن متمكناً من ذلك فإنه يتوجه إلى بيت المقدس هكذا حدثتنا روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحين هاجر إلى المدينة بقي في توجهه إلى بيت المقدس إلى أن كانت واقعة بدرٍ الكبرى بعد واقعة بدر الكبرى صار هناك تغيير في القبلة فصار التغيير باتجاه الكعبة يعني حين هاجر إلى المدينة لم يكن باستطاعة النبي أن يتوجه إلى الكعبة وإلى بيت المقدس في نفس الوقت لعدم إمكانية حصول ذلك لاختلاف الجهات.

بعد واقعة بدر وفي شهر رجب كما تقول الروايات والأخبار تغيرت القبلة فصارت باتجاه الكعبة اليهود كانوا يفتخرون على المسلمين بأنكم تتجهون إلى قبلتنا فلمَّا تغيرت القبلة هم الذين قالوا ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ﴾ السفهاء هنا وصفٌ لليهود ولمن قال بقولتهم ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا﴾ ولذلك دخلوا في نقاشٍ مع رسول الله قالوا بأنك كنت تصلي إلى بيت المقدس ثم عدلت النبي صلى الله عليه وآله ثلاث عشر سنة في مكة يصلي باتجاه بيت المقدس وفي المدينة أيضاً ما يقرب من سنتين سبعة عشر شهر يعني حدود السنة والنصف هو أيضاً يمكن أن أقول ما يقرب من سنتين على نحو المسامحة سبعة عشر شهر كان النبي صلى الله عليه وآله يصلي إلى بيت المقدس مدة مديدة من الزمن فقالوا حينما كنت تصلي إلى بيت المقدس فعدلت عن ذلك أكنت على حق فإذا عدلت عن الحق فإنك لا تعدل إلا إلى الباطل أم كنت على باطل فمن يقول بأنك الآن أنت على حق فلربما تكون على باطل كما كنت على باطل في السابق.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا﴾ والنبي صلى الله عليه وآله ناقشهم هناك مناقشة جميلة جداً بين النبي وبين اليهود من جملة ما قاله صلى الله عليه وآله قال لهم أنتم حينما تتركون العمل في يوم السبت ثم تعودون في يوم الأحد وسائر الأيام الأخرى إلى العمل هل كان تركك للعمل في يوم السبت حقاً أم باطلاً؟ فإذا كان تركك للعمل في يوم السبت كان حقاً فإذاً أنتم عدلتم إلى الباطل طيلة أيام الأسبوع وإذا كان عملكم طيلة أيام الأسبوع حقاً فحين تركتم العمل في يوم السبت إذاً كان باطلاً فهل عدلتم من الباطل إلى الباطل أم من الحق إلى الباطل أم من الباطل إلى الحق ماذا صنعتم، قالوا لا إن ترك

العمل في يوم لسبت حق وبأن العمل في سائر أيام الأسبوع حق قال كذلك هو حين كنا نصلي إلى بيت المقدس هو حق وحين صلينا إلى الكعبة هو حق وجاء لهم بأمثلة أخرى من جملتها قال إن الله سبحانه وتعالى يأمركم في فصل الصيف أن تلبسوا الثياب التي تتناسب مع هذا الفصل وحين يأتي الشتاء يأمركم أن تلبسوا الثياب التي تتناسب مع هذا الفصل للحفاظ على صحتكم وعافيتكم فهل إن الذي كان في الصيف حقاً ثم صار باطلاً أو هل إن الذي كان في الشتاء حقاً ثم صار في الصيف باطلاً فماذا؟ كما أن الصيف وما يجري فيه هو ما يناسبه وكذلك في الشتاء وما يجري فيه هو ما يناسبه كذلك الأمر في قضية الصلاة باتجاه بيت المقدس وفي الصلاة باتجاه الكعبة وتفاصيل أخرى موجودة في الروايات أنا لا أريد أن أطيل الوقوف عند هذا المطلب.

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا ﴾ الآية تجيب ﴿ قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ ﴾ هل أن هناك جهة خاصةٌ بالله وهناك جهات غير خاصة بالله؟! فهل أن التوجه إلى بيت المقدس هو فقط هذا هو التوجه لله وهل أن التوجه للكعبة أو لغير الكعبة ليس توجهاً لله؟! كل جهةٍ إنما هي لله.

﴿ قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ ﴾ وجيئ هنا بالمشرق والمغرب باعتبار أن المشرق والمغرب على أساسهما يتم تعيين الجهات ومن جملة الجهات القبلة لأن المشرق والمغرب توجد عليه دلالة وعلامة واضحة وهي الشمس من طلوعها يكون المشرق وعند غروبها يمكن أن يتشخص المغرب المشرق والمغرب هما الجهتان اللتان على أساسهما يمكن أن نحسب الزمان وأن نشخص المكان أيضاً على أساس ضوء الشمس يمكن أن نعرف الليل من النهار وعلى أساس حركة الشمس يمكن أن نعرف ساعات النهار وكذلك ساعات الليل وعلى أساس ذلك يمكن أن نقسم الوقت إلى أيام وبعد ذلك إلى أشهر وتقسم الأشهر أيضاً إلى فصول تقسم السنة إلى فصول وهذه الفصول أيضاً متأتية من حركة الشمس ومن حركة الأرض حول الشمس، المشرق والمغرب هما أساس لمعرفة الزمان ولمعرفة المكان ولتشخيص القبلة ولتشخيص أوقات العبادة لذلك دائماً يَرِد ذكر المشرق والمغرب وحين يُقال المشرق والمغرب فإنما يُراد بذلك أيضاً الشمال والجنوب ونحن على أساس تحديد المشرق والمغرب يمكن أن نُشخِّص الشمال والجنوب فكل ما كان هناك مشرقٌ ومغرب كان هناك شمال وجنوب ﴿ قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ ﴾ .

قد يقول قائل بأن هناك نقاطٌ في الأرض ليس فيها مشرق ومغرب طبعاً هذه نقاط وهمية هناك نقاط وهي نقاط وهمية مثل ما عندنا خط الاستواء هل يوجد على الأرض شيء اسمه خط الاستواء هو خطٌ وهمي مثل ما عندنا خطوط الطول والعرض هذه وسائل والآت وأسباب من خلالها الجغرافيون الفلكيون يستطيعون

تشخيص الأوقات تشخيص المواقع وهكذا فكما أن خط الاستواء هو حقيقة وهمية وهم كذلك خط الصفر خط جرينتش هو خطٌ وهمي لا وجود له في عالم الواقع كما أن خطوط الطول خطوط العرض أيضاَ كل هذا إنما هو شيءٌ وهمي هناك نقطةٌ وهي نقطةٌ وهمية يُقال لها نقطة الشمال ونقطةٌ أيضاً يُقال لها نقطة الجنوب ما يقال له قمة الشمال الجغرافي وهي نقطة موجودة في قمة الأرض يقال بأن هذه النقطة هكذا في عالم الاعتبار التصوري بأنهُ في هذه النقطة لا يوجد شرق ولا غرب في نقطة الشمال الجغرافي وفي نقطة الجنوب الجغرافي وهذه تقع في قمة القطب الشمالي للكرة الأرضية وكذلك تقع في نهاية القطب الجنوبي للعلم هناك فارقٌ بين القطب الشمالي الجغرافي والقطب الشمالي المغناطيسي وكذلك هناك فارق بين القطب الجنوبي الجغرافي والقطب الجنوبي المغناطيسي هناك تقسيم وهذه كلها التقسيمات تقسيمات اعتبارية فالقطب الشمالي الجغرافي الذي في أعلاه تكون النقطة نقطة الشمال أقصى الشمال والتي لا يكون فيها شرق ولا غرب والنقطة التي تكون في أقصى الجنوب لو أردنا أن نرسمها على الخارطة رسمنا الكرة الأرضية فهناك خطٌ مستقيم يتواصل بين نقطة أقصى الشمال وبين نقطة أقصى الجنوب وهذا الخط المستقيم هو الخط الواصل بين الشمال الجغرافي القطب الشمالي الجغرافي وبين القطب الجنوبي الجغرافي أما القطب المغناطيسي القطب المغناطيسي لو أردنا أن نرسمهُ فإنه يكون مائلاً ومنحرفاً والأقطاب أقطاب الأرض سواء القطب الشمالي أو القطب الجنوبي هذه الأقطاب متحركة غير ثابتة وكما يحدد العلماء بأن المسافة بين القطب الشمالي الجغرافي وهو قطبٌ وهمي وبين القطب المغناطيسي تُحدَّد بألف ميل أو أكثر من ذلك ونفس الشيء الأمر موجود مع القطب الجنوبي لذلك قلت سيكون بشكلٍ منحرف على أساس هذه القواعد اخترعت البوصلة التي تحدَّد بها القبلة وقد مرت البوصلة بمراحل كثيرة حتى وصلت إلى الحال الذي هو الآن عليه وأساس التحديد يبدأ من المشرق والمغرب كما هو في هذه الآية هذا المطلب وإن كان فيه تفصيل قد يخرجنا عن الآية لكنني أشرت إليه بشكلٍ مجمل يعني حتى في هذه الأجهزة الآن الموجودة يتم التشخيص على أساس المشرق والمغرب وعلى أساس الشمال والجنوب بعد تشخيص المشرق والمغرب في ضمن حسابات يعرفها المختصون.

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ ﴾ أين المشكلة الله أراد في بداية الأمر أن تكون القبلة بهذا الاتجاه ثم أراد أن تكون القبلة باتجاهٍ آخر ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ يَهدِي مَن يَشَاء ﴾ إلى أي جهةٍ يهدي؟ ﴿ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ ﴾ القبلة الحقيقية أين ﴿ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ ﴾ الذين لهم الخبرة في

روايات أهل البيت الواردة في تفسير القرآن حيثما جاء هذا العنوان صراطٌ مستقيم فهناك عطرٌ يهبُ من عليٍّ صلوات الله علية حيثما جاء ذكر الصراط المستقيم فهناك عليٌّ يُشرق بوجههِ من الآية من له خبرة بأحاديث أهل البيت الواردة في تفسير القرآن فإنه سيجد حيثما جاء ذكر الصراط المستقيم جاء ذكر عليٍّ ويمكن أن أقول بأن هذه قاعدة من قواعد تفسير القرآن وفقاً لمنهج أهل البيت، وفقاً لمنهج أهل البيت حيثما جاء ذكر الصراط المستقيم فهناك عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه فهنا يهب، يهب علينا عطرٌ من علي والحديثُ عن القبلة والحديثُ عن الكعبة، ومن كان مركزاً للكعبة من ولد فيها ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ إذاً الجوهر هو الهداية إلى الصراط المستقيم سواء كان الاتجاه إلى الشرق إلى الغرب فكلهُ لله لكن الجوهر هذه طقوس هذه مناسك ظاهرية في التوجه إلى بيت المقدس أو إلى الكعبة في وقتٍ من الأوقات كان التوجه إلى بيت المقدس في وقتٍ آخر صار التوجه إلى الكعبة هذه مجرد طقوس مجرد شعارات مجرد مظاهر الجوهر ما هو؟ الجوهر هو الصراط المستقيم.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا قُل لِّلّهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ وتستمر الآيات ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيهَا إِلاَّ لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيهِ وَإِن كَانَت لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية تشتمل على مطالب عديدة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ مرَّ الحديث عن معنى الأُمَّة مرَّ الحديث عن خير أُمَّةٍ أخرجت للناس ومرَّ الحديث أيضاً عن الأُمَّة التي جاءت مذكورة في دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً﴾ مرَّ الكلام في هذا الموضوع لذا لا أعيده الأُمَّة هنا فقط ممكن أن أشير إلى رواية هذه الرواية جاءت عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه ذكرها السيد هاشم البحراني في تفسير البرهان، **إمامنا الصادق يقول قال الله تعالى** ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُمْ شَهِيدًا﴾ **فإن ظننت** – هذا كلام الإمام الصادق – **فإن ظننت إن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين أفترى أن من لا تجوز شهادتهُ في الدنيا على**

صاعٍ من تمر يطلب الله شهادتهُ يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟! – يعني هذه الآية ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ الإمام يقول هل المقصود جميع الأُمَّة، جميع من قال أشهد ان لا آله إلا الله وأن مُحَمَّداً رسول الله، إذا كان الكلام هكذا فإن في هذه الأُمَّة من لا تُقبل شهادتهُ في الدنيا على صاعٍ من تمر فكيف تُقبل شهادتهُ في يوم القيامة على الأمم الأخرى؟!

القضية واضحة لابد أن يكون هؤلاء الشهداء لهم خصوصية، صاع من تمر الصاع هو وزن مكيال الصاع بالدقة أحددهُ الصاع هو أربعة أمداد الصاع هو وزن، الصاع أربعة أمداد المُد بالتحديد إذا أردت أن أحددهُ بشكل قريب من الدقة طبعاً لا يوجد هناك تحديد دقيق لأن هذه أوزان قديمة والأوزان القديمة ليست بالغة في الدقة إلى ذلك الحد البعيد في الدقة المتناهية لكن أقول في زماننا يمكن أن أقول بأن المد يساوي 725 غرام، 725 غرام هو هذا المُد يعني ما يقرب من ثلاثة أرباع الكيلو، الكيلو ألف غرام وثلاثة أرباع الكيلو هو 750 غرام المُد تقريباً 725 غرام الصاع هو أربعة أمداد يعني يكون قريب من ثلاث كيلوات ما يقرب من ثلاث كيلوات قريب من ثلاثة كيلو هو هذا الصاع، الإمام يقول إن في هذه الأُمَّة من لا تُقبل شهادته على الصاع، السفهاء الفَسَقة الكاذبون في هذه الأُمَّة من لا تُقبل شهادتهم فهؤلاء تكون لهم شهادة على الأمم وفي يوم القيامة في هذه الدنيا التي لا قيمة لها التي لا تعدل جناح بعوضة عند الله لا تُقبل شهادهم على صاعٍ من تمر، رواية جميلة عن الإمام الباقر عليه السلام ينقلها ابن شهرآشوب في مناقبه – **الإمام الباقر يقول: إن هذه الأُمَّة لا تجوز شهادتها في يوم القيامة** – لماذا؟ – **يقول: إن في هذه الأُمَّة من لا تُقبل شهادتهُ على حُزمة بقل** – يعني باقة فجل – **لا تقبل شهادتهُ على حزمة بقل** – يعني باقة فجل كراث لا تُقبل شهادتهم عليها فكيف يكونون شهداء على الخلق؟!

الآية واضحة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أما هؤلاء المخالفون الذين يريدون أن يحرِّفوا كتاب الله وحرَّفوا كتاب الله هذا هو التحريف، التحريف هو هذا تحريف الحقائق وإلا هذا منطق الوجدان واضح كما يقول إمامنا الباقر إن الذي لا تجوز شهادته على حزمة بقل يعني باقة فجل أو باقة كراث لا تجوز شهادتهُ عليها كيف يكون شهيد على الأمم ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ أفترى كما يقول إمامنا الصادق – **أفترى أن من لا تجوز شهادتهُ في الدنيا على صاعٍ من تمر يطلب الله شهادتهُ يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟! كلا لم يعني الله مثل هذا من خلقه يعني الأُمَّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وهم**

الأُمَّة الوسطى وخير أُمَّةٍ أُخرِجت للناس – وهم عليٌّ وآل عليٍّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم الأُمَّة الوسطى وهم الشهداء على الناس وكيف يكونون شهداء على الناس بهذا العلم المحدود إنما يكونوا شهداء على الناس بذلك العلم الإحاطي وإلا كيف يشهدون على الأمم الماضية الحديث هنا عن الأمم الماضية إذا كان بهذا العلم العادي وبهذه الحواس العادية التي أملكها أنا وتملكها أنت نحن لا نستطيع أن نشهد حتى ما يجري في بيوتنا الآن إذا أنا كنتُ خارج بيتي لا أدري ماذا يجري في بيتي إذا أنا كنت خارج هذه الغرفة القريبة مني لا أدري ماذا يجري في هذه الغرفة فكيف أشهد على الأمم الماضية وفي الأمم الماضية الأنبياء والآية صريحة الآية صريحة تشمل الأنبياء والأوصياء فإذاً هذه الشهادة ليست بعلمٍ عادي لابد أن تكون بعلم الإحاطة ليس بالعلم المحسوب بالحساب الدنيوي هذا بالعلم الذي تحدثت عنه في شرح الزيارة الجامعة في قول الإمام عليه السلام: وخُزَّانَ العلم، بالعلم المحيط بالعلم الحضوري الذي تحضر فيه المعلومات لا صور المعلومات وذلك علمٌ لا نستطيع أن نتصورهُ.

هذه هي الشهادة التي جاءت الإشارة إليها في آخر آيةٍ من سورة الرعد ﴿قُل كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَينِي وَبَينَكُم وَمَن عِندَهُ عِلمُ الكِتَابِ﴾ هناك شهادة شهادة مطلقة مفتوحة هذه الشهادة المطلقة والمفتوحة هذا العلم المحيط بما كان وما يكون وما هو كائن والإمام قال وأكثر من ذلك ومرت علينا الروايات في برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة في هذا المطلب في آخر حلقة كنت تحدثت فيها عن معنى وخُزَّانَ العلم هذه الشهادة هذه الشهادة الإحاطية مثل الرؤية الإحاطية ﴿وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ﴾ هذه رؤية إحاطية شهادة إحاطية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا﴾ أُمَّةً وسطا أي أنتم المركز، الأُمَّة المركز، الأُمَّة التي تقع في الوسط وهم النقطة ألم يقل عليٌّ بأنهُ هو النقطة، النقطة هي المركز والنقطة هي المدار والنقطة منها نشأت الكلمات التامة والكلمات الأتم من تلكم النقطة السيالة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا﴾ لتكونوا أنتم يا آل مُحَمَّد والرسول له مقام الإحاطة فأنتم من نورهِ الإحاطة التامة هي للحقيقة المُحَمَّدية وسائر الحقائق الأخرى إنما هي داخلةٌ فيها كيف أُقَرِّبُ المعنى أين موقع الحقيقة العلوية من الحقيقة المُحَمَّدية هناك مَثَلٌ ذكرهُ إمامنا الباقر لمن سأله عن وجه الله فأخذهُ إلى نار قال أنظر إلى هذه النار أين وجه النار لا يوجد لها وجه النار كلها وجه، وجه النار من جميع جهاتها لا يوجد للنار وجه من أي جهةٍ تنظر؟ فإنك ترى وجه النار فالنار بكلها وجهٌ لنفسها كما جاء في بعض الكلمات المنقولة عنهم صلوات الله عليهم – **إن لنا مع الله حالات نكون فيها نحن هوَ وهوَ نحن**

إلا أننا نَحنُ نَحنُ وهوَ هوَ – وهو نفس المضمون – **لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك** – في دعاء شهر رجب الحقيقة المُحَمَّدية والحقيقة العلوية تكون هيَ هيَ وتكون ليست هيَ هيَ – **أنا مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ أنا** – كما قال سيد الأوصياء وقال سيد الأنبياء والمرسلين – **أنا عليٌّ وعليٌّ أنا** – فَمُحَمَّدٌ هو عليٌّ وعليٌّ هو مُحَمَّد إلا أن محمَّداً هو مُحَمَّد وأن علياً هو علي والمعاني عميقة هذه وأنا لا أريد الخوض في هذه القضية أكثر من ذلك لكن الحديث عن القبلة وعن الجهة التي نتجه إليها حقيقة القبلة هي هذه حقيقة القبلة الاتجاه إلى محمَّدٍ وعلي ومُحَمَّدٌ هو عليٌّ وعليٌّ هو مُحَمَّد إلا أن مُحَمَّداً هو مُحَمَّد وأن علياً هو علي، ولذلك الآية السابقة قالت ﴿يَهدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ﴾ وهل الصراط المستقيم غير مُحَمَّدٍ وعلي.

عباراتنا شتى وحُسنُكَ واحدٌ وكلٌّ إلى ذاك الجمال يُشيرُ

عباراتنا شتى يا خاتم الأنبياء ... وحُسنك واحدٌ يا سيد الأوصياء ... وكلٌّ إليكما، إلى مُحَمَّدٍ وعلي

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا﴾ هذه الإحاطة هذه من حيث مُحَمَّدٌ هو محمَّد تكونوا شهداء على الناس حين تكونون أنتم مُحَمَّد ومُحَمَّد أنتم لأن مقام الشهادة الأعظم لِمُحَمَّدٍ فقط وما أنتم ألا تجلٍّ من محمَّد ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ حين تكونون أنتم مُحَمَّد ومُحَمَّد أنتم ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا﴾ حين يكون مُحَمَّدٌ هو مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيهَا إِلاَّ لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ هذه الكعبة وهذه القبلة هذه إنما هي رمزٌ دنيوي حجريٌ معنويٌ الكعبة بما هي كعبة رمزٌ حجري والقبلة بما هي قبلة حين نتوجه إلى جهتها فهي رمزٌ معنوي ودلالاتها أعمق دلالاتها أعمق سأورد بعضاً من الكلمات المعصومية الشريفة التي تكشف عن هذه الدلالة ونحن في أجواء الحديث عن القبلةِ وتغيير القبلة أشير إلى بعضٍ من الأحاديث التي رواها شيخنا الحر العاملي رضوان الله تعالى عليه في كتابهِ الوسائل الرواية ينقلها عن شيخنا الطوسي – **عن معاوية بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام قال قلت له متى صُرِف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة أو متى صَرَفَ** – يعني متى صَرَفَ الناس إلى الكعبة متى صُرِف يعني متى صرفهُ الله، صَرَفَهُ أي وجهَهُ – **متى صَرَفَ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة** – أي متى صرف المسلمين ووجههم إلى الكعبة – **قال: بعد رجوعه من بدر** – لأن بدر كانت خطاً فاصلاً بين الحق والباطل ولذلك سميت بيوم الفرقان، بدر هي التي سميت بيوم الفرقان اليوم

الذي فُرِق فيه بين الحق والباطل اليوم الذي تشخَّصَ فيه الإسلام بشعاراته وبقوانينه وبرموزِهِ وبأسمائه ومسمياتهِ وبكل اصطلاحاتهِ الجديدة بعباداتهِ بمعاملاتهِ بأخلاقه بروحانيتهِ شخصت هذه الأمور وحُدِّدت في يوم بدر يوم بدر سُمي بيوم الفرقان اليوم الذي فُرِّق فيه بين الحق والباطل لذلك بعد الرجوع من بدر بفترةٍ زمنية النبي صلى الله عليه وآله وسلم صرف الناس إلى الكعبة تغيرت القبلة وهذا لتأكيد وتشخيص المعنى أي معنى؟ تشخيص مصطلحات قواعد أصول هذا الدين الذي جاء به مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وإلا فنبينا يعلم صلى الله عليه وآله بأن القبلة الحقيقية منذ زمان آدم هي الكعبة.

عندنا رواية مروية عن عبد الرحمن بن كثير عن إمامنا الصادق عليه السلام هذه الرواية يرويها الشيخ الكليني في الكافي – **إن الله بعث جبرئيل إلى آدم فنزل غمامٌ من السماء** – غمام يعني مثل الغيم أو هو الغيم في بعض الأحيان – **إن الله بعث جبرئيل إلى آدم فنزل غمامٌ من السماء فأظَلَّ مكان البيت** – قد يكون غيماً وقد يكون شيئاً يشبه الغيم قد يكون شيئاً نورياً أظهرهُ الله لآدم لغايةٍ ستتبين تبينها الرواية – **إن الله بعث جبرئيل إلى آدم فنزل غمامٌ من السماء فأظَلَّ مكان البيت** – مكان البيت العتيق يعني الكعبة – **فقال جبرئيل يا آدم خُطَّ برجلك** – ضع مخطط – **خُطَّ برجلك حيثُ أظَلَّ الغمام** – هذا الغمام جاء يرسم خريطة باعتبار الغمام لو أقترب من الأرض سيترك ظِلالاً على الأرض فجبرئيل يطلب من أبينا آدم أن يخطط موضع ظِلال هذا الغمام – **فقال جبرئيل يا آدم خُطَّ برجلك حيثُ أظَلَّ الغمام** – لماذا؟ – **فإنهُ قبلةٌ لك ولآخر عَقِبك من ولدك** – لآخر عَقِبك من وُلدك يعني أن البشرية في آخر أيامها ستكون قبلته الكعبة وهي كعبة محمَّد وهي كعبة صاحب الأمر صلوات الله وسلامه عليه، رواية عن إمامنا الصادق، معاوية بن عمار يسأله – **متى صرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة؟** – صرف الناس – **قال: بعد رجوعه من بدر وكان يصلي في المدينة إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم أُعيد إلى الكعبة** – نفس هذه الرواية أُعيدَ إلى الكعبة يعني أن النبي صلى الله عليه وآله كان عالِماً وقطعاً هو عالِم لا يحتاج هذا الكلام إلى تبيين أو تأكيد – **ثم أُعيد إلى الكعبة** – لأن الكعبة هي القبلة الأصلية.

الرواية، **عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألتهُ: هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي إلى بيت المقدس؟ قال: نعم، فقلت: أكان يجعل الكعبة خلف ظهره؟ فقال: أما إذا كان بمكة فلا** – لماذا؟ لأنه يتمكن أن يضع الكعبة وبيت المقدس باتجاه واحد – **وأما إذا هاجر إلى المدينة فنعم حتى حَوَّلَ إلى الكعبة** – في المدينة كان يمكن أن تكون الكعبة خلف ظهره باعتبار أنهُ الاتجاهات مختلفة – **وأما إذا هاجر إلى المدينة فنعم حتى حَوَّلَ إلى الكعبة.**

رواية جميلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله الرواية مروية عن إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه –

عن ابي الحسن موسى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليٍّ عليه السلام: إنما مَثَلُك في الأُمَّة مَثَلُ الكعبة – إنما مَثَلُك في الأُمَّة مَثَلُ الكعبة كما أن الكعبة يتوجه إليها وهي رمز كما قلت قبل قليل رمزٌ حجري هناك الرمز الحقيقي – **إنما مَثَلُك في الأُمَّة مَثَلُ الكعبة التي نصبها الله عَلَماً وإنما يا علي تؤتى من كل فجٍ عميق ونأيٍ سحيق ولا تأتي** – الكعبة تؤتى من كل فجٍ عميق ونأيٍ سحيق من كل جهةٍ بعيدة ولا تأتي الكعبة لا تأتي إنما الكعبة تُزار ولا تزور فأنت يا علي كذلك – **إنما مَثَلُك في الأُمَّة مَثَلُ الكعبة التي نصبها الله عَلَماً وإنما يا علي تؤتى من كل فجٍ عميق ونأيٍ سحيق ولا تأتي.**

هناك رواية أو خبر نقلها الشيخ المفيد في كتابه مسارُّ الشيعة قال – **في النصف من شهر رجب سنة اثنتين من الهجرة حُوِّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة وكان الناس في صلاة العصر فتحولوا فيها إلى البيت الحرام** – هذه باقة من الأحاديث والروايات التي نقلها شيخنا الحر العاملي في كتابهِ وسائل الشيعة وهذا هو الجزء الثالث من وسائل الشيعة.

فعليٌّ في هذه الأُمَّة كالكعبة في هذه الأُمَّة وعليٌّ هو القبلة الحقيقية ولا عجب في ذلك نحن نقرأ في قرآننا الكريم في سورة يونس في الآية السابعة والثمانين ماذا نقرأ؟ ﴿وَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَومِكُمَا بِمِصرَ بُيُوتًا وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ هناك في التفاسير اجعلوا بيوتكم قبلة أي اجعلوا بيوتكم باتجاه القبلة ولكن لو نظرنا إلى الآية بشكلٍ صريح وبشكلٍ واضح ﴿وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً﴾ أي بيوت؟ إنها بيوت موسى وهارون ﴿وَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَومِكُمَا بِمِصرَ بُيُوتًا وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم﴾ يعني يا موسى ويا هارون ﴿وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ إنما كانت بيوتهم قبلة لأي شيءٍ؟ للحجر الذي هو فيها؟ قطعاً ليس للحجر أيُّ عاقلٍ إذا تبصَّر في هذا المعنى فإنما جُعلت هذه البيوت قبلة لأي شيءٍ؟ للذين هم فيها

وما حُبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديار

﴿وَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى﴾ الآية السابعة والثمانون من سورة يونس ﴿وَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَومِكُمَا بِمِصرَ بُيُوتًا وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ إنما كانت بيوتهم قبلة للذين كانوا فيها قبل قليل أنا أشرت إلى هذه القضية إن القبلة في معناها الحقيقي قبلة الوجود وليس القبلة لهذه الصلوات المحدودة التي نتوجه فيها من دون التوجه إلى الله في غفلةٍ وفي سهوٍ وفي نقصٍ كثير، القبلة الحقيقية قبلة

الوجود القبلة الحقيقية هي الحقيقية المحمَّدية العلوية ألم تكن الكعبة في الدنيا إنما هي صورةٌ للبيت المعمور والبيت المعمور إنما هو صورةٌ لأي شيءٍ؟ للعرش وما العرش إلا صورة لقلب محَمَّد، العرش صورةٌ لقلب مُحَمَّد العرش صورةٌ للحقيقة المُحَمَّدية كما أننا في الدنيا نتجه إلى الكعبة الملائكة تتجه إلى البيت المعمور ومن هم أشرف من ملائكة السماوات الأولى والثانية والثالثة والرابعة الملائكة العِظام إلى أين يتجهون؟ يتجهون إلى العرش، العرش تدور حولهُ كل السماوات والكرسي وهناك ما هو أعلى من العرش الحقيقة المُحَمَّدية ما العرش إلا صورة إلا تجلٍ لقلب مُحَمَّد وما البيت المعمور إلا تجلٍّ وصورة من العرش وما الكعبة في الأرض إلا صورة وتجلٍّ من البيت المعمور ﴿وَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَومِكُمَا بِمِصرَ بُيُوتًا وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً﴾ .

هناك رواية جميلة عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه ذكرها الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا في جملة مجالس الإمام الرضا عند المأمون والمجالس طويلة ومفصلة في أحد المجالس – **فقال المأمون: هل فَضَّل الله العترة على سائر الناس؟** – بعد حديث فيه تفصيل أنا أخذ موطن الحاجة – **فقال المأمون: هل فَضَّل الله العترة على سائر الناس؟ فقال أبو الحسن عليه السلام:** – يعني إمامنا الرضا – **إن الله عزَّ وجلَّ أبان فضل العترة على سائر الناس في مُحكم كتابه، فقال له المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟** – بدأ الإمام يتحدث إلى أن وصل – **قال: وأما الرابعة** – يعني النقطة الرابعة التي يبين فيها إمامنا الرضا فضل العترة على سائر الناس – **وأما الرابعة فإخراجهُ صلى الله عليه وآله الناس من مسجده ما خلا العترة** – يعني حين سدَّ الأبواب إلا باب علي والقضية معروفة – **وأما الرابعة فإخراجهُ صلى الله عليه وآله الناس من مسجده ما خلا العترة حتى تكلم الناس في ذلك وتكلم العباس فقال: يا رسول الله تركت علياً وأخرجتنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا تركتهُ وأخرجتكم ولكن الله عزَّ وجلَّ تركهُ وأخرجكم وفي هذا تبيان قولهِ لعليٍّ عليه السلام** – أنت مني بمنزلة هارون من موسى– **قالت العلماء** – الذين كانوا جُلاساً عند المأمون في مجلس المأمون – **وأين هذا من القرآن؟** – إذا كنت، كنت تقول يا أبا الحسن بأنك ستبين فضل العترة من القرآن هذه القضية أين هي من القرآن – **قال أبو الحسن عليه السلام: أوجِدكم في ذلك قرآناً أقرأهُ عليكم، قالوا: هات، قال: قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿وَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَومِكُمَا بِمِصرَ بُيُوتًا وَاجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً﴾ **ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى** – لماذا؟ لأن موسى أُمِر بأن يجعل بيتهُ وبيت هارون قبلة على حدٍ سواء – **ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى** – الإمام يقول – **وفيها أيضاً منزلة عليٍّ عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله** –

لأنهُ ماذا قال؟ إنه بمنزلة هارون من موسى المنزلة بكاملها ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ وإنما جيء بموسى وبهارون أمثلة تقرب المعنى وإلا فضيلة عليٍّ وفضيلة مُحَمَّدٍ صلى الله عليهما وآلهما لا تُقاس بهما فضيلة ولا تقاس بهما منازل الأنبياء – **إن أمرنا صَعِبٌ مستصعب لا يحتمله لا نبيٌّ مُرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب** – وموسى وهارون غاية ما بلغا إليه أن كانوا من الأنبياء المرسلين وما الأنبياء المرسلون إلا شيعةٌ لِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وما خُلِقوا في الروايات، إن عقول الأنبياء خُلِقت من فاضل طينة أجساد مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد الروايات هكذا حدثتنا والروايات هنا تريد أن تشير إلى الفارق وهذا الحديث عن المنازل في العالم الطبيعي أما الحديث عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في العوالم القادسة الأولى فذلك حديثٌ آخر، هذه نفحاتٌ من معنى القبلة هناك كلامٌ عن القبلةِ في بُعدها المادي وفي الحدث التأريخي الذي حدث ولكن حقيقة القبلة أبعد من هذه المعاني.

هناك كلمةٌ لسيد الأوصياء في جملةٍ من خُطبه الافتخارية والتي نقلها الحافظ البرسي رضوان الله تعالى عليه في كتابهِ المشارق ماذا يقول سيد الأوصياء؟ يقول: **أنا الطور أنا الكتاب المسطور أنا البحر المسجور أنا البيت المعمور** – الكلمة واضحة صريحة وجلية هذا كلام علي – **أنا الطور أنا الكتاب المسطور أنا البحر المسجور أنا البيت المعمور** – كلمة ثانية أيضاً يقول فيها الإمام – **أنا إمام الأبرار أنا البيت المعمور أنا السقف المرفوع أنا البحر المسجور أنا باطن الحرم** – وباطن الحرم يعني حقيقة الحرم يعني حقيقة الكعبة – **أنا باطن الحرم أنا عِمادُ الأمم أنا صاحب الأمر الأعظم** – هو باطن الأمر وهو باطن الحرم وهو باطن الحقيقة لا عجب في ذلك أن نقرأ في تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي وهو من علماء المخالفين في تذكرة الخواص صفحة: 129 ينقل كلاماً عن سيد الأوصياء – **فلمَّا خلق آدم أبان للملائكة فضله وآراهم ما خَصَّهُ به من سابق العلم فجعله محراباً وقبلة لهم فسجدوا له وعرفوا حقه** – فآدم كان قبلة وبيت موسى وهارون كان قبلة فلِما لا يكون عليٌّ قبلة؟! والقبلة الحقيقية عليٌّ صلوات الله عليه – **فلمَّا خلق آدم أبان للملائكة فضله وآراهم ما خَصَّهُ به من سابق العلم فجعله محراباً وقبلة لهم فسجدوا له وعرفوا حقه** – إلى أن يقول – **ثم بَيَّن لآدم حقيقة ذلك النور ومكنون ذلك السر** – موطن الشاهد أن الله جعل آدم قبلةً للملائكة فسجدوا له، كما صَرَّحت الآية بأن بيوت موسى وهارون قبلة وهذا هو المعنى العميق لمعنى القبلة ولمعنى الكعبة.

هناك رواية ينقلها شيخنا ابن البطريق في كتابهِ العمدة الرواية منقولة عن أبي ذر نقلها في صفحة: 297، 298، الحديث رقم 496 كتاب عمدة صحاح عيون الأخبار لشيخنا المحدث الجليل ابن البطريق رحمة الله عليه الحديث عن أبي ذر قال – **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَثَلُ عليٍّ فيكم كَمَثَل الكعبة**

المستورة أو المشهورة النظر إليها عبادة والحج إليها فريضة – وقد روى هذا الخبر من العامة ابن المغازلي في مناقبهِ صفحة:107 حديث:149 وذكرهُ صاحب أرجح المطالب في صفحة: 480، وروى قريباً منه ابن الأثير في أُسُد الغابة الجزء الرابع صفحة:31، وكذا في ذيل اللألي للسيوطي صفحة:62، وذكرهُ شيخنا الأميني في غديرهِ الشريف الجزء الرابع صفحة: 38، من طرقهم ومصادرهم هناك كلمة جميلة للشيخ محمَّد حسين كاشف الغطاء في أحد حلقات برنامجنا يسألون والمودة تجيب ذكرت كلاماً في معرض جوابٍ لسؤال عن قولٍ ذكرهُ الشيخ كاشف الغطاء بخصوص السيدة الزهراء وتحدثت في هذا الموضوع بشكلٍ مفصل وقلت بأننا نقدس علمائنا حيثما كانوا مع أهل البيت وحينما يبتعدون عن أهل البيت فإن لا نجد لهم إجلالاً ولا تقديساً هناك حين انتقدت كلام الشيخ لأنهُ قد جانب الصواب وبينت الأمر بشكلٍ مفصل ولكنهُ مثلاً حينما يقول وهو فهمٌ عميق لِما جاء في كلمات أهل البيت هذا الكلام ذكرهُ في كتابهِ جنة المأوى في صفحة: 123 وما بعدها، وهو يتحدث عن ولادة عليٍّ في الكعبة فماذا يقول؟

وفي ولادتهِ رمزٌ آخر لعله أدق وأعمق وهو أن حقيقة التوجه إلى الكعبة هو التوجه إلى ذلك النور المتولد فيها – هذا كلام الشيخ كاشف الغطاء رحمة الله عليه – وهو أن حقيقة التوجه إلى الكعبة هو التوجه إلى ذلك النور المتولد فيها ولو أن القصد مقصورٌ على محض التوجه إلى تلك البنية وتلك الأحجار لكان أيضاً نوعاً من عبادة الأصنام معاذ الله، ولكن التناسب يقضي بأن البدن وهو تراب يتوجه إلى الكعبة التي هي تراب والروح التي هي جوهر مجرد تتوجه إلى النور المجرد وكل جنسٍ لاحقٌ بجنسه النور للنور والتراب للتراب – إلى أن يقول – نعم نتوجه بأبداننا في صلواتنا إلى الكعبة وبأرواحنا إلى النور الذي أشرق وأضاء فيها نتوجه إليه فنجعله الوسيلة إلى الله كما قال عزَّ شأنهُ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيهِ الوَسِيلَةَ ﴾ نتوجه إليه كي يوجهنا الخير والسداد فالتوجه منا إليه والتوجيه منه لنا – كلماتٌ جميلةٌ رائعةٌ رائقة من قلم شيخنا محمَّد حسين كاشف الغطاء رضوان الله تعالى عليه كما قلت قبل قليل هذا البيت الجميل:

عباراتنا شتى وحُسنك واحدٌ وكلٌ إلى ذاك الجمال يشير

أعود إلى الآية ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيهَا ﴾ يعني قبلة بيت المقدس ﴿ إِلاَّ لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيهِ ﴾ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيهِ: العَقِب هو النهاية الأخيرة من القدم النهاية الأخيرة من القدم هي التي يقال لها العَقِب الحافة الأخيرة من القدم من الجهة الخلفية يقال لها العَقِب وهذا التعبير إنما هو تعبيرٌ كنائي ينقلب على عقبيه المقصود أنه يرتد عمَّا كان عليه من العقيدة من الفكر هذا مجرد تعبير كنائي وإلا ليس المقصود هنا

المعنى المادي المذكور في هذه اللفظة، ينقلب على عقبيه باعتبار الإنسان حينما يكون قائماً يستند في قيامهِ إلى أي شيءٍ؟ بالثبات والإتكاء على قدميه، حينما يريد أن يتحرك ويستدير إلى جهة أخرى أكثر جهة يستند عليها هو العقب عقب القدم إذا أراد أن يستدير وبشكل سريع أكثر جهة يستند عليها هو العقب عقب القدم ينقلب على عقبيه أن يرجع يستدير.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾ نحن جعلناك تتوجه إلى بيت المقدس مع أن القبلة الحقيقية هي الكعبة لأجل هذا الأمر لأجل أي أمرٍ لأجل تمحيص الناس ولتعليم الناس على التسليم كي يُسلم الناس لنبيهم ولأئمتهم، عندنا رواية عن الإمام الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه يقول إن النبي حينما كان في مكة صلى إلى بيت المقدس لماذا؟ لأنهُ أهل مكة مشغوفون بحب الكعبة فحينما صلى إلى بيت المقدس صلى إلى جهةٍ هم ليسوا مشغوفين بها فصلى إلى جهةٍ تخالف هواهم وهذا نحوٌ من التربية، التربية على التسليم لِما يخالف المزاج والذوق لَمَّا جاء إلى المدينة أهل المدينة اليهود قبلتهم بيت المقدس وأهل المدينة في حالِ مزاحمة ومنافسة مع أهل مكة فلا تميل نفوسهم إلى التوجه إلى الكعبة وإنما يرغبون التوجه إلى بيت المقدس طبعاً هذه جهة من الجهات وليس هي العلة هذه جهة من الجهات الاجتماعية من الجهات السياسية المنظورة في هذه القضية الأحكام خصوصاً مثل هذا الحكم هذا حكم أساسي هذا حكم كلي تترتب عليه الكثير من المسائل، مسائل سياسية تترتب عليه الكثير من الشعارات ومن الرموز التي ستكون عناوين ثابتة لهذا الدين، فحينما تكون الأحكام بهذا المستوى قطعاً يؤخذ بنظر الاعتبار في مِلاكاتها وفي عِلل جعلها وتشريعها الكثير من المطالب منها ما هو سياسي منها ما هو اجتماعي ومنها ما هو معنوي لكن تبقى هناك علة أساسية ومِلاك أساسي في كل الأحكام هناك مِلاك ثابت في كل الأحكام وهو إيصال الناس إلى مرحلة العبودية كل حكم من أحكام الشريعة هناك فيه مِلاك جوهري لماذا شُرِّع هذا الحكم صحيح قد تكون فيه منافع في بعض الأحيان جسدية مادية وقد تكون فيه منافع أخلاقية وقد تكون فيه منافع معنوية روحانية وقد تكون فيه منافع معرفية وقد تكون وقد تكون وقد تُدفع عن الإنسان مضار ومضار أيضاً على اختلاف أشكالها وأنحائها لكن يبقى هناك مِلاك جوهري وهو أن الأحكام الشرعية تريد أن تُعَبِّد الناس أن تجعلهم في حالٍ من العبودية ولا يمكن أن يُعَبَّد الناس ما لم يعيشوا حالة التسليم فالمسلمون صلوا لفترة زمنية طويلة باتجاه بيت المقدس ثم غُيّر هذا التغيير متى كان بعد واقعة بدر هذا كله لتمهيد النفوس لأي شيءٍ؟

هذه القضية لها رباط وثيق بعليٍّ صلوات الله وسلامه عليه وهذه القضية لها رباط وثيق ببيعة الغدير لا تستغرب ذلك هذا المعنى سنستكشفهُ من خلال الآيات أنا قلت قبل قليل من كانت عنده خبرة في روايات

التفسير المنقولة عن المعصومين حيثما ذُكِر الصراط المستقيم فهناك عليٌّ والكلام بدأ ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ثم صار التعريج ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ثم يستمر الكلام ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ طبعاً هذا النوع من التعبير ليس الحديث هنا عن علمٍ وعن جهل ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ يعني هل أن الله سبحانه وتعالى محتاجٌ إلى أن يغير القبلة وأن يمتحن المسلمين حتى يعرف من هو الضال ومن هو الهادي هذا الأمر واضحٌ للنبي قبل أن يكون الحديث عن هذه المسألة عن علم الله وإنما المقصود ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ حتى يتضح يتضح للجميع وليس هنا الحديث عن علم إلهي وعن جهلٍ في هذا الموضوع ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ الحديث هنا بلسان الملائكة الحديث هنا بلسان الأنبياء السابقين الذين هم أيضاً ينظرون إلى هذه الأُمَّة من حيث مقاماتهم ومكاناتهم، الحديث هنا أيضاً عن المؤمنين الذين أخلصوا الإيمان ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ يعني هناك مجموعات ما عندها علم بالأشخاص الذين يتبعون النبي من هي هذه الجهات؟

الله؟! لا يمكن أن يكون ذلك، النبي صلى الله عليه وآله؟! لا يمكن أن يكون ذلك، عليٌّ فعلمه علم النبي إذاً من هي هذه الجهات؟ المؤمنون المخلصون هذه جهة، الملائكة هذه جهة ثانية، الملائكة المشرفون على تنظيم الحياة، الملائكة العاملة المدبرة وكذلك الأنبياء السابقون والأوصياء السابقون الذين يُطلون على هذه الأُمَّة ويطلعون على أحوالها وهذا مُبَيّنٌ في الروايات هناك تواصل بين الأنبياء وبين هذه الأُمَّة لكن من وراء حجابٍ غيبي وإلا الكثير منكم ربما قرأ أو سمع في نزول الأنبياء لزيارة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه والتواصل بين سيد الشهداء وبين الأنبياء حتى في العالم الدنيوي وهذه المعاني واضحة في الروايات التواصل بين الأنبياء وبين إمام زماننا وهذه معاني واضحة في الروايات وليس المقام يسمح لتفصيل الكلام في كل هذه المطالب ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ﴾ هذه القضية ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يعني هذه القضية كبيرة لو أردت أن أذهب إلى أوائل سورة البقرة وفي حينها شرحت هذا المعنى في الآية الخامسة والأربعين من سورة البقرة ماذا تقول ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا﴾ ما قال وإنهما ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا﴾ يعني الصلاة

باعتبار الضمير يعود على الأقرب والصبر مذكر والصلاة مؤنثة بحسب التعبير اللفظي العربي ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ألا تلاحظون هذا التناسق بين هذه الآية وبين هذه الآية ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ: لنتصفح معاً ما جاء في بحار الأنوار الشريف في الجزء السادس والعشرين من حديث المعرفة بالنورانية المنقول عن سيد الأوصياء والذي ينقله إلينا سلمان وأبو ذر وأكرِم بهما، أقتطف المقطع الذي هو موطن الحاجة – **قال سلمان: قلت يا أخا رسول الله ومن أقام الصلاة أقام ولايتك؟!** – سلمان يسأل الأمير – **يا أخا رسول الله ومن أقام الصلاة أقام ولايتك؟! قال: نعم يا سلمان تصديق ذلك قولهُ تعالى في الكتاب العزيز** ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ **فالصبر رسول الله صلى الله عليه وآله والصلاة إقامة ولايتي فمنها قال الله تعالى** ﴿وَإِنَهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ **ولم يقل وإنهما لكبيرةٌ لأن الولاية كبيرةٌ حملها إلا على الخاشعين لأن الولاية كبيرةٌ حملها أو حملها إلا على الخاشعين والخاشعون هم الشيعة المستبصرون** – الخاشعون هم الشيعة المستبصرون الآية أشارت إلى هذا المعنى ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ .

والإيمان ولاية عليٍّ، حيثما وردت كلمة الإيمان في القرآن الكريم بحسب روايات أهل البيت فالإيمان ولاية علي هذه قاعدةٌ ثانية تناولتها اليوم طبعاً الذين لا خبرة لهم بروايات أهل البيت قد لا يعجبهم هذا الكلام وأنا أيضاً لا يعجبني أن لا يعجبهم هذا كما أنهم لا يعجبهم فإنني أيضاً لا يعجبني قولهم فلماذا هم يحق لهم أن لا يعجبهم هذا القول ولا يحق لي أن لا يعجبني أيضاً ما يقولون، في روايات أهل البيت من كان له خبرة بحديث أهل البيت كما قلت قبل قليل حينما يأتي ذكر الصراط المستقيم يعني هب عطر عليٍّ إذا رأيت الصراط المستقيم في آيةٍ من آيات الكتاب الكريم تَنَشَّق عطر عليٍّ هنا عليٌّ وإذا وجدت كلمة الإيمان، الإيمان تعني ولاية علي هنا أيضاً يهبُ المسك والورد والعطر والريحان هنا عليٌّ أيضاً كما يقولون مرَّ عليٌّ من هنا، مرَّ عليٌّ من هنا واستقرَّ عليٌّ في هنا، إذا جاء ذكر الإيمان هناك عليٌّ.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ طبعاً هناك وجوه في الآية وحتى في الروايات فُسِرت ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يعني ليُضيع صلاتكم باعتبار أن من المسلمين من قال فما حال

صلاتنا إلى بيت المقدس هل كانت صحيحة أو غير صحيحة في بعض الروايات هذا الجواب لهذا السؤال ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ والصلاة هي بنحوٍ وبآخر هي رمز الولاية، الولاية صلةٌ فيما بين الخلق وبين الله والصلاة مظهرها العبادي واللفظي والطقوسي في الحياة الدينية ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وتستمر الآيات الكريمة ويستمر الوقت أيضاً بالجريان ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أيُّ قبلةٍ يرضاها مُحَمَّد؟ أيُّ قبلةٍ يرضاها المصطفى صلى الله عليه وآله القبلة التي هي رمز الولاية العلوية هي هذه القبلة التي يرضاها وحتى هذا التعبير ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ لم تقل الآية فلنوجهنَّك هنا التولي والولاية هذا التعبير مأخوذ من التولي من الولاية ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ نولينك قبلة ترضاها، نجعل وجهك ونجعل قلبك متجهاً إليها متولياً لها ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ قطعاً الروايات ذكرت لنا بأن اليهود عَيَّروا المسلمين وعَيّروا النبي بأنكم تتبعون قبلتنا والروايات أيضاً حَدَّثت بأن النبي أصابهُ الحزن وخرج ينظر في السماء هذه المعاني موجودة في الروايات وهذه المعاني إنما تتحدث عن حزن النبي الذي يمثل حزن أتباعه وإلا فالنبي صلى الله عليه وآله لا يمكن أن نتصور بأنهُ يحزن من مثل هذا الكلام وهو الذي يعرف حقائق الأمور ويعرف بأن الكعبة ستكون بعد ذلك هي القبلة الحقيقية لكن هذا الكلام وهذا الحديث مثل ما جاء في الكتاب الكريم قبل قليل مرَّ علينا ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ الله يقول وقطعاً ليس الكلام عن الله كما قلت قبل قليل الكلام عن الملائكة عن المؤمنين عن الأنبياء السابقين ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ فإن الله كما يتحدث عن ذاتهِ المقدسة بهذا النحو من التعبير وهو يشير بذلك إلى الأنبياء إلى أوليائه المخلصين هذا الحديثُ يكون عن النبي نفس الشيء حينما نذهب إلى سورة الفتح فماذا نقرأ في سورة الفتح؟

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ هل للنبي ذنوب حتى تُغفر إذا كان له ذنوب متقدمة ومتأخر ما الفارق فيما بيني وبينهم أنا أقول في دعائي: اللَّهُمَّ أغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر. فإذا كان مُحَمَّدٌ المصطفى له ذنوب متقدمة وذنوب متأخرة إذاً ما الفارق بيني وبينه إذاً لِما لا أكون أنا خاتم الأنبياء إذاً لِما لا تكون أنت خاتم الأنبياء أنا وأنت عندنا ذنوب متقدمة ومتأخرة ونرفع أيدينا بالدعاء وبالتوسل والابتهال اللهم اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر منها فهل كان لِمُحَمَّد من ذنوبٍ

متقدمة وذنوب متأخرة حتى تُغفر ﴿لِيَغفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ لا علاقة لي بما يقوله أولئك الذين لا يملكون ذوق أهل البيت لا علاقة لي بكل ما يقولون، ماذا قال أهل البيت؟ روايات أهل البيت هكذا حدثتنا معنى هذه الآية النبي يقول لعلي: **يا علي إن الله نسب ذنوب شيعتك إلي ثم غفرها** ﴿لِيَغفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ كما يقول القائل أنهُ دع هذا الذنب على حسابي امسحها بوجهي دعها في لحيتي كما يقول الناس هكذا ألفُ عين لأجل عين تُكرم، يا علي إن الله نسب ذنوب شيعتك إلي ثم غفرها لي، هناك رواية جميلة جداً لَمَّا طلب عليٌّ من رسول الله أن يدعو له بالمغفرة وطبعاً معنى المغفرة هنا معنى عميق ليس هذا المعنى السطحي فقال: **اللَّهُم أغفر لعليٍّ بحق علي**. إشارة عميقة جداً إذا كان حق عليٍّ هو الذي يكون سبباً للمغفرة إذاً أيَّةُ مغفرة هذه؟! قال: **اللَّهُم أغفر لعليٍّ بحق علي** ﴿لِيَغفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ يا علي إن الله نَسَب ذنوب شيعتك إلي ثم غفرها الخطاب في القرآن الكريم لها ألحانهُ الخاصة وخصوصاً مع النبي ومع أهل البيت هناك لحنٌ خاص في الخطاب القرآني ونأتي عليه إذا وفقنا للاستمرار في تفسير القرآن سنأتي على بيان هذه المطالب بحسب ما يسنح به المقام شيئاً فشيئاً.

﴿قَد نَرَى تَقَلُّبَ وَجهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلَةً تَرضَاهَا﴾ هذا التقلب الذي تتحدث عنه الآية له دلالات أعمق ولكننا لنبقى في الأفق الأول تقلب وجه النبي في السماء إنما هو يحدثنا عن حالة القلق وعن حالة الأذى التي كانت تنتاب أصحاب النبي بسبب ما يجري فيما بينهم وبين اليهود من محاججات ونقاشٍ وجدل وغير ذلك من الوساوس والشكوك والإثارات التي كانوا يثيرونها فيما بينهم وما حولهم.

﴿قَد نَرَى تَقَلُّبَ وَجهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلَةً تَرضَاهَا﴾ القبلة التي يرضاها الكعبة مكة وطنه الذي يحبه ﴿فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ﴾ فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام: شطر قد تأتي بمعنى الجهة فَولِّ وجهك باتجاه المسجد الحرام ونحن حين نتوجه إلى القبلة فإننا نتجهُ إلى جهتها وليس إلى بنية الكعبة بنحو التحديد وإنما إلى تخوم الكعبة إلى جهة الكعبة الاتجاه يكون باتجاه تخوم الكعبة باتجاه جهتها، وهناك تفسير للشطر وهو البعض كما تقول شطيرة شطرت هذا الشيء وهذه شطيرةٌ من ذلك الشيء يعني بعضاً منه وهذا شطر الشيء هذا شطر الكتاب هذا بعضهُ والكعبة هي بعض المسجد الحرام ﴿فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ﴾ لأنه نحن عندنا الكعبة وعندنا المسجد الحرام وعندنا الحرم دوائر، الدائرة الواسعة هي دائرة الحرم الدائرة التي هي أضيق هي دائرة المسجد الحرام الدائرة التي هي أضيق الكعبة فعندنا الكعبة ثم المسجد

الحرام ثم الحرم ﴿فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ﴾ يعني بعض المسجد الحرام والكعبة هي بعض المسجد الحرام والمعنى واحد فلو قلنا بأن المراد من شطر يعني بعض المسجد الحرام بالنتيجة الاتجاه هو إلى تخوم الكعبة إلى جهاتها إلى جهتها.

﴿قَد نَرَى تَقَلُّبَ وَجهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ تقلب وجهك كناية عن البحث عن قبلةٍ أخرى فهل كان النبي حقيقةً يبحث عن قبلةٍ أخرى أم أن المسلمين هم الذين كانوا يبحثون عن قبلةٍ أخرى ولذلك قال الأئمة بأن القرآن نزل بإياكِ أعني وأسمعي يا جارة هذه من جملة مصاديق هذا النوع من أنواع ألحان القرآن هناك ألحان متعددة في الخطاب النبوي وفي الخطاب القرآني ﴿قَد نَرَى تَقَلُّبَ وَجهِكَ﴾ تقلب الوجه هو البحث عن قبلة ﴿فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلَةً تَرضَاهَا فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَحَيثُ مَا كُنتُم﴾ وحيث ما كنتم في أي مكانٍ ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطرَهُ﴾ إن كان ذلك في مكة أو خارج مكة ﴿وَحَيثُ مَا كُنتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّهِم﴾ يعلمون بأن اتجاهك باتجاه الكعبة هو هذا الحق لأي أمرٍ؟ أولاً لأنهُ ذُكِر ذلك في كتبهم، وثانياً لأنهم يعلمون بأنك على حق وما تأتي به فهو الحق حتى وإن لم يكن ذلك مذكوراً في كتبهم فهو مذكورٌ في كتبهم لأن النبي وسائر أوصافه بل إن أوصاف أصحابهِ وأوصاف أتباعهِ بالتفصيل جاءت مذكورة في كتبهم.

حينما نقرأ في سورة الفتح مثلاً في الآية الأخيرة ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاء بَينَهُم تَرَاهُم رُكَّعًا سُجَّدًا يَبتَغُونَ فَضلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضوَانًا سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِم مِّن أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّورَاةِ وَمَثَلُهُم فِي الإِنجِيلِ﴾ يعني هذه الأوصاف موجودة تلك أوصافهم، ذلك مَثَلهم يعني تلك أوصافهم موجودةٌ في التوراة والإنجيل ﴿يَبتَغُونَ فَضلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضوَانًا سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِم مِّن أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّورَاةِ وَمَثَلُهُم فِي الإِنجِيلِ كَزَرعٍ أَخرَجَ شَطأَهُ﴾ إلى آخر الآية فهم قد ذُكِروا أصحاب النبي أيضاً بأوصافهم جميع الحوادث ذُكِرت في كتب اليهود وفي كتب النصارى لكنها حُرِّفت وحُذِفت بعد ذلك وإلا الآية صريحة ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّورَاةِ وَمَثَلُهُم فِي الإِنجِيلِ﴾ فكانوا يعلمون، يعلمون بأن مُحَمَّداً على الحق وبأن التوجه إلى الكعبة على الحق أيضاً ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿لَيَعلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّهِم وَمَا اللَّهُ

بِغَافِلٍ عَمَّا يَعمَلُونَ﴾ تلاحظون هذا التركيب ورد هنا في هذه الآية ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعمَلُونَ﴾ وورد أيضاً في الآية الأربعين بعد المئة حينما جاء الكلام ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ﴾ يعني هناك شهادة عنده من الله في كتبهم ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ﴾ هذا التركيب ورد هنا وهناك لأن الحديث عن نفس النقطة في الآية الأربعين بعد المئة ﴿أَأَنتُمْ أَعلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ﴾ الموجودة في كتبهم ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ﴾ وفي هذه الآية أيضاً في الآية الرابعة والأربعين بعد المئة ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّهِم﴾ من خلال كتبهم ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعمَلُونَ﴾ وكل هذه المعاني تتسق تتوحد فيما بينها.

هناك آيات سنأتي عليها إن شاء الله في الحلقات القادمة لكن بقيت نقطة واحدة فقط أشير إليها حتى تكتمل الصورة في معنى القبلة، يستمر الكلام في موضوع القبلة إلى أن تقول الآية ﴿وَمِن حَيثُ خَرَجتَ﴾ وهي الآية الخمسون بعد المئة ﴿وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ﴾ الآيات التي تجاوزتها إن شاء الله أتناولها في أول يومٍ من أيام شهر رمضان المبارك لكن هناك نقطة لأن الوقت ما يكفي لأن أتناول هذه الآيات هناك نقطة حتى تتم فيها الصورة في الآية الخمسين بعد المئة ﴿وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَحَيثُ مَا كُنتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيكُم حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم﴾ الذين ظلموا الذين يرفضون القبلة والكعبة بالمعنى الظاهري وبمعناها الباطني قال علي أنا باطن الحرم كما مرَّ علينا قبل قليل ﴿فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِي وَلأُتِمَّ نِعمَتِي عَلَيكُم وَلَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ هذا التعبير القرآني ﴿فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِي وَلأُتِمَّ نِعمَتِي عَلَيكُم وَلَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ هذا التعبير أين نجدهُ؟ نجدهُ واضحاً صريحاً في سورة المائدة المباركة في الآية الثالثة ﴿اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِ﴾ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِي﴾ ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلاَمَ دِينًا﴾ ﴿فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِي وَلأُتِمَّ نِعمَتِي عَلَيكُم وَلَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ .

نقرأ الآيتين الآية الثالثة من سورة المائدة ﴿اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم فَلاَ تَخشَوهُم﴾ اليوم في يوم

الغدير، اليوم ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أنا قلت الآيات وتغيير القبلة هو تمهيد للغدير لتوطين القلوب على التسليم أنكم تتوجهون إلى بيت المقدس الله يريدكم أن تتوجهوا إلى الكعبة أنتم تتبعون مُحَمَّداً وبعد مُحَمَّد الله سبحانه وتعالى يريد منكم أن تتبعوا علياً هذا نوع من التمرين والممارسة العملية هذه هي الحكمة الحقيقية في تغيير القبلة والآيات تكشف عن هذا المعنى التعاضد الواضح في الألفاظ ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بعلي ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ بعلي فالإسلام هو عليٌّ صلوات الله عليه والآية هنا ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إتمام نعمة وهداية، لا تخشوهم واخشوني، إلا الذين ظلموا، نفس الكلام في هذه الآية الذين كفروا، فلا تخشوهم واخشوني، أتممت عليكم نعمتي رضيت لكم الإسلام دينا وتلكم هي الهداية.

ونفس الشيء إذا ذهبنا إلى سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ثم ماذا؟ ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ إتمام النعمة ثم ماذا؟ ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ حسب القاعدة حيثما جاء الصراط المستقيم هناك علي، لا تبحثوا عنه الصراط المستقيم علي، حين أقول حيثما جاء الصراط المستقيم فهناك علي وتلاحظون الآيات بعضها يشد البعض ووالله لو كان هناك وقت يكفي لتتبعت هذه الكلمات كلمة الصراط المستقيم في الكتاب الكريم ولوجدتم ذلك جلياً إنهُ علي، ولرأيتم ذلك جلياً إنه علي، أليس هذا هو الكتاب الصامت؟ والكتاب الصامت إنما هو صورة، الآن حينما أنت تأخذ صورة فوتوغرافية هذه الصورة الفوتوغرافية أنت الصامت، أنت لو كان اسمك جعفر مثلاً فأخذت لك صورةً فوتوغرافية أو رسمت لك لوحةً فهذه صورتك وهذا أنت أقول بأنك جعفرٌ ناطق وهذه الصورة هي جعفر الصامت فعليٌ هو الناطق والكتاب هذا هو الصامت والصامت يدلنا على الناطق لكن الناطق هو الذي يكشف حقائق الصامت كلما وجدتم صراطاً مستقيماً إنه علي ولا تنسوا فإن الحروف المقطعة في أوائل السور إذا جمعناها وأسقطنا المتشابه منها تتكون عندنا جملة: **صراط عليٍّ حقٌّ نُمسكه.**

عليٌّ في الحروف المقطعة، عليٌّ في الآيات المحكمة عليٌّ في الآيات المتشابهة عليٌّ في كل حرفٍ من حروف الله عليٌّ في كل صفحةٍ من صفحات هذا المصحف بل هذا المصحف عليٌّ وهذا المصحف يدور مع عليٍّ حيثما دار ألم يقل خاتم الأنبياء بأن القرآن يدور مع عليٍّ حيثما دار ألم يقل بأن الحق يدور مع عليٍّ حيثما دار وهل الحق إلا القرآن وهل القرآن إلا الحق وهل الحق إلا عليٌّ وهل عليٌّ إلا الحق وهل

القرآن إلا علي وهل عليٌّ إلا القرآن وهل محمَّدٌ إلا علي وهل عليٌّ إلا مُحَمَّد إلا أن محَمَّداً هو مُحَمَّد وعليٌّ هو علي صلوات الله وسلامه عليهما.

يا مُحَمَّدُ يا علي يا مُحَمَّدُ يا علي أكفيانا فإنكما كافيان وانصرانا فإنكما ناصران، أنتم ملاذنا في الدنيا والآخرة صلوات الله عليكما وعلى آلكما الأطيبين الأطهرين.

وإن شاء الله نلتقيكم في اليوم الأول من شهر رمضان وأتم الكلام من حيث انتهيت أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ